﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قول الحق سبحانه وتعالى «وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة» هذا الوعد كان لإعطاء موسى المنهج ، فحينها كلّم الله سبحانه وتعالى موسى بجانب الطور . . كان هذا لإبلاغ موسى عليه السلام أنه رسول من رب العالمين ـ وأنه أرسله ليخلص بنى اسرائيل من طغيان فرعون وعذابه . . وأنه سيمده بآيات ومعجزات . . حتى يقتنع فرعون وقومه أن موسى رسول من الله تبارك وتعالى . . بعد تكليف موسى بالرسالة وذهابه الى فرعون . . وما حدث مع السحره ثم نجاة موسى وقومه . . بأن شق الله جل جلاله لهم البحر . . هذا فى وقت لم يكن المنهج قد نزل بعد . . ولذلك بمجرد أن نجىّ الله سبحانه وتعالى موسى وقومه وأغرق فرعون . . كان لابد أن يتم ابلاغ موسى بالمنهج . وكان الوعد يشمل أربعين ليلة . . هذه الليالى الأربعون حددت كثلاثين أولا . . ثم أتمها الحق سبحانه وتعالى بعشر أخرى . . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

(من الآية ١٤٢ سورة الأعراف)

وعندما يتكلم الدين عن الزمن يتكلم دائما بالليلة . . والسبب فى ذلك أنك لاتستطيع أن تحدد الزمن بدقة بالنهار . . الشمس تشرق وتغرب ثم تعود لتشرق . . فاذا نظرت الى قرص الشمس . . لايمكن أن تحدد فى أى وقت من الشهر نحن . . هل فى أوله أو فى وسطه أو فى آخره . . ولكن اذا جاء الليل بمجرد أن تنظر الى القمر تستطيع أن تحدد الزمن . فإذا كان القمر هلالا فنحن فى أوائل

الشهر .. وإذا كان بدرا فنحن فى وسطه وهكذا ..

إن هناك مقاييس دقيقة بالنسبة للقمر وقياس الزمن فى عرف الناس ؛ الانسان العادى يستطيع أن يحدد لك الزمن بالتقريب بالليالى .. ويقول لك البدوى فى الصحراء ، هذا القمر ابن كذا ليلة .

وفى منطق الدين نحسب كل شىء بدخول الليل .. فهذه ليلة الأول من شهر رمضان نصلى فيها التراويح .. وليلة العيد لا تصلى فيها التراويح .. وليلة النصف من شعبان .. وليلة الاسراء والمعراج ..

وفى كل مقاييس الدين الليل لا يتبع النهار إلا فى شىء واحد هو يوم عرفه .. فلا نقول ليلة عرفه وانما نقول يوم عرفه .. اذن الليلة هى ابتداء الزمن فى الدين .. والزمن عند الله مدته اثنا عشر شهرا للعام الواحد .. السنة الميلادية تختلف عن السنة الهجرية .. والسبب فى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وزع رحمته على كونه .. فلو أن المواقيت الدينية سارت على مواقيت الشمس .. لجاء رمضان مثلا فى شهر محدد لا يتغير .. يصومه الناس صيفا فى مناطق محددة . وشتاء فى مناطق محددة ولا يختلف أبدا .. فيظل رمضان يأتى فى الصيف والحر دائما بالنسبة لبعض الناس .. وفى الشتاء والبرد دائما بالنسبة لبعض الناس ..

ولكن لأن السنة الهجرية تقوم على حساب الهلال .. فمعنى ذلك أن كل نفحات الله فى كونه تأتى فى كل الفصول والازمان .. فتجد رمضان فى الصيف والشتاء .. وكذلك وقفة عرفات وكذلك كل المناسبات الدينية الطيبة .. لأن السنة الهجرية تنقص أحد عشر يوما عن السنة الميلادية .. والفرق سنة كل ثلاث وثلاثين سنة .

والحق سبحانه يقول : «ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون» .

يريد أن يمحص بنى اسرائيل .. ويبين لنا كفرهم بنعم الله . فالله نجاهم من آل فرعون .. ولم يكادوا يعبرون البحر حتى رأوا قوما يعبدون الأصنام .. فقالوا كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾

(من الآية ١٣٨ الاعراف)

حدث هذا بمجرد خروجهم من البحر سالمين .. موسى عليه السلام أخذ النقباء وذهب لميقات ربه . وترك أخاه هارون مع بنى اسرائيل .. وبنو اسرائيل عندما كانوا فى مصر .. وكانوا يخدمون نساء آل فرعون .. أخذوا منهن بعض الحلى والذهب خلسة .. ومع أن فرعون وقومه متمردون على الله تبارك وتعالى .. فإن هذا لا يبرر سرقة حلى نسائهم .. فنحن لا نكافىء من عصى الله فينا بأن نعصى الله فيه .. ونصبح متساويين معهم فى المعصية .. ولكن نكافىء من عصى الله فينا بأن نطيع الله فيه ..

وأبو الدرداء رضى الله عنه حينما بلغه أن شخصا سبه .. بعث له كتابا قال فيه .. يا أخى لا تسرف فى شتمنا .. واجعل للصلح موضعا فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .. بنو اسرائيل سرقوا بعض حلى نساء آل فرعون .. فجعلها الله فتنة لإغوائهم .. وزين لهم الشيطان أن يصنعوا منها عجلا يعبدونه .. صنعه لهم موسى السامرى الذى رباه جبريل .. فأخذ الحلى وصهرها ليجعلها فى صورة عجل له خوار .. وقال لهم هذا الهكم واله موسى .

اتعرف لماذا فتنهم الله سبحانه وتعالى بالعجل ؟

لأن الذهب المصنوع منه العجل من أصل حرام .. والحرام لا يأتى منه خير مطلقا .. ولابد أن نأخذ العبرة من هذه الواقعة .. وهى ان الحرام ينقلب على صاحبه شراً ووبالا ، إن كان طعامك حراما يدخل فى تكوين خلاياك ويصبح فى جسدك الحرام .. فاذا دخل الحرام الى الجسد يميل فعلك الى الحرام .. فالحرام يؤرق الجسد ويسوقه الى المعاصى ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : «ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» وقال تعالى : ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون ، ثم ذكر ، الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنىّ يستجاب لذلك»(١) .

(١) رواه احمد ومسلم والترمذى

وقد حصل لبني اسرائيل الشيء نفسه وسرقوا ذهب آل فرعون فانقلب عليهم ظلما ، وقال الله تعالى عنهم : « ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

وعد الله لموسى كما قال أهل العلم كان ثلاثين ليلة . . إتمام الثلاثين ليلة يؤتيه ما وعد . . وكلمة وعد هي الإخبار بشيء سار . والوعيد هي الإخبار بشيء سيء . . فإذا سمعت وعدا فاعرف أنّ ماسيجيء بعدها خير . وإذا سمعت وعيدا تعرف أن مابعدها شر ، إلا آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى :

﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

(من الآية ٧٢ سورة الحج)

فهل الوعد هنا بخير أو المعنى اختلف ؟ . . نقول : إن كانت النار موعودا فهي شر . . وإن كانت النار هي الموعودة والكفار هم الموعود بهم فهي خير للنار ؛ لأن النار تفرح بتعذيب الكافرين من عباد الله . . ونعرف هذا الفرح من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

(سورة ق)

ولا يستزيد الانسان إلا من شيء يحبه . . والنار ـ ككل شيء مسخر ـ مسبحة لله تكره العصاة . . ولكنها غير مأمورة بحرقهم في الدنيا . . ولكن في الآخرة تكون سعيدة وهي تحرق العصاة والكافرين .



﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢ ﴾

الله سبحانه وتعالى يمن على بنى اسرائيل مرة اخرى .. مع أنهم ارتكبوا ذنبا من ذنوب القمة .. ومع ذلك عفا الله عنهم لأنه يريد أن يستبقى عنصر الخير للناس .. يريد أن يعلم خلقه أنه رب رحيم . يفتح أبواب التوبة للواحد بعد الآخر .. لتمحو خلايا الشر فى النفس البشرية ..

إن الانسان حين يذنب ذنبا ينفلت من قضية الايمان .. ولو لم تشرع التوبة والعفو من الله لزاد الناس فى معاصيهم وغرقوا فيها .. لانه إذا لم تكن هناك توبة وكان الذنب الواحد يؤدى الى النار .. والعقاب سينال الانسان فإنه يتمادى فى المعصية . وهذا ما لا يريده الله سبحانه وتعالى لعباده .. وفى الحديث الشريف :

لَلَّهُ أفرحُ بتوبةِ عبدِه مِن أحدِكم سَقَطَ على بعيره وقد أضلَّه فى أرضٍ فلاةٍ(١)

معنى الحديث .. رجل معه بعير يحمل ماله وطعامه وشرابه وكل ما يملكه.هذا البعير تاه فى صحراء جرداء .. بحث عنه صاحبه فلم يجده .. لقد فقده وفقد معه كل مقومات حياته .. ثم ينظر فيراه أمامه .. كيف تكون فرحته ؟ .. طبعا بلا حدود .هكذا تكون فرحة الله تعالى بتوبة عبده المؤمن بل أشد من ذلك .

ان الله تبارك وتعالى حين يفتح باب التوبة . يريد لحركة العالم أن تسير .. هب ان نفسا غفلت مرة .. أو قادتها شهوتها مرة الى معصية . أو وسوس الشيطان لها كما حدث مع آدم وحواء . لو لم تكن هناك توبة ومغفرة .. لا نقلب

(١) رواه البخارى ومسلم

كل هؤلاء الى شياطين . . بل إن اعمال الخير تأتى من الذين أسرفوا على أنفسهم . . فهؤلاء يحسنون كثيرا ويفعلون الخير كثيرا . . مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

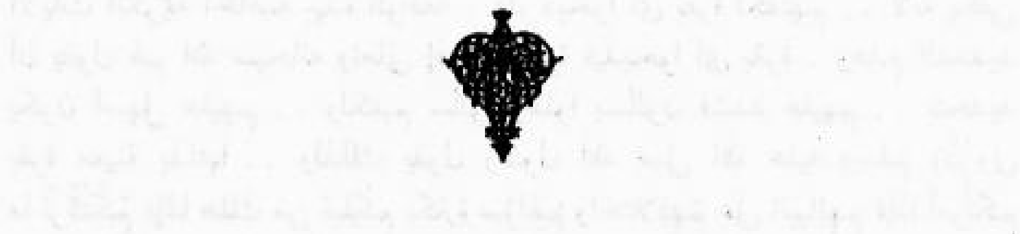
(من الآية ١١٤ سورة هود)

وقوله جل جلاله :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

(من الآية ١٠٣ سورة التوبة)

إذن فكون الله سبحانه وتعالى يتوب على بنى اسرائيل مع أنهم كفروا بالقمة فى عبادة العجل . . فذلك لأن الله يريد استبقاء الخير فى كونه . . ولقد عبد بنو اسرائيل العجل قبل أن ينزل عليهم المنهج وهو التوراة . . ولكن هل بعد أن أنزل عليهم المنهج والتوراة تابوا وأصلحوا أو استمروا فى معصيتهم وعنادهم ؟



﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ٥٣

الحق سبحانه وتعالى يذكر بنى اسرائيل هنا . . أنه بعد أن أراهم من المعجزات الكثير . ونجاهم من آل فرعون وشق لهم البحر ـ كان لابد أن يؤمنوا ايمانا حقيقيا لا يشوبه أى نوع من التردد . . ذلك لأنهم رأوا وشهدوا . . وكانت شهادتهم عين يقين . أى شهدوا بأعينهم ماذا حدث . .

ولكن هل استطاعت هذه المشاهدة أن تمحو من قلوبهم النفاق والكفر ؟ . . لا . . لقد ظلوا معاندين طوال تاريخهم . لم يأخذوا أى شيء بسهولة . .

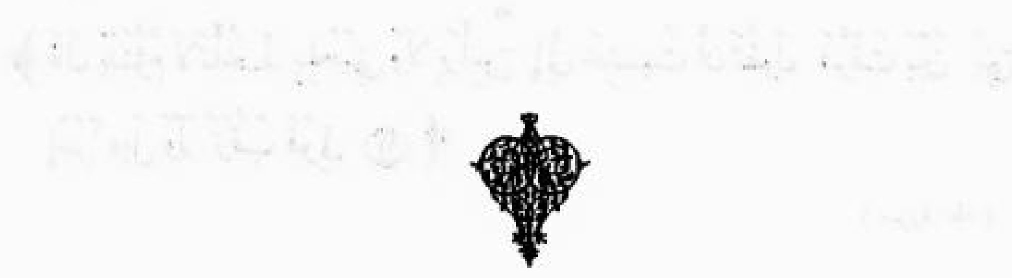
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من أن يكونوا كبنى إسرائيل ويكونوا قوما شددوا فشدد الله عليهم . . وكان ذلك بالنسبة لقصة البقرة . . التى أمروا أن يذبحوها ليعرفوا من القاتل فى جريمة قتل كادت تثير حروبا بينهم . . فأخذوا يسألون ما هى وما لونها الى آخر ما سنتحدث عنه . . عندما نأتى الى الآيات الكريمة الخاصة بهذه الواقعة . فلو ذبحوا أى بقرة لكفتهم . . لأنه يكفى أن يقول لهم الله سبحانه وتعالى إذبحوا بقرة فيذبحوا أى بقرة . وعدم التحديد يكون أسهل عليهم . . ولكنهم سألوا وظلوا يسألون فشدد عليهم . . بتحديد بقرة معينة بذاتها . . ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذَرُونى ما تَرَكْتُكُمْ فإنما هلكَ من قبلِكُم بكثرةِ سؤالِهِمْ واختلافِهِمْ على انبيائِهم فإذا أمرتُكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نَهَيْتُكم عن شيء فدعُوه)[1] .

والله سبحانه وتعالى فى قوله : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان » . كأن إتيان موسى الكتاب والفرقان . . نعمة يجب أن يذكرها قومه . . وأن يستقبلوا منهج الله

(١) رواه مسلم

على أنه نعمة . . فلا يأخذ الانسان التكليف الالهى من زاوية ما يقيد حركته ولا ما يعطيه له . . ذلك أن الله حين حرم عليك السرقة . . حرم على الناس جميعا أن يسرقوك . . فاذا أخذمنك حريتك أن تسرق . . فقد أخذ من الناس كل الناس حريتهم أن يسرقوا مالك . . وهذه حماية كبيرة لك .

ما هو الكتاب . . وما هو الفرقان ؟ . . الكتاب هو التوراة . . هو الذى يبين المنهج . . والفرقان هو الأشياء التى يفرق الله فيها بين الحق والباطل . . فكأن الفرقان تطلق مرة على التوراة . . لانها تفرق بين الحق والباطل . وتطلق ايضا على كل ما يفرق بين الحق والباطل . . ولذلك سمى يوم بدر يوم الفرقان . . لأنه فرق بين الحق والباطل . . فكأن منهج الله وكتابه يبين لنا أين الحق وأين الباطل ويفرق بينهما .



﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

يذكّر الله تبارك وتعالى بنى إسرائيل بقصة عبادة العجل . وهى قصة مخالفة خطيرة لمنهج الله ومخالفة فى القمة . . عبادة الله وحده . والذى حدث ان موسى عليه السلام ذهب لميقات الله ومعه نقباء قومه ليتلقى المنهج والتوراة . . وأخبره الله سبحانه وتعالى أن قومه قد ضلوا وعبدوا غير الله . . وعاد موسى وهو فى قمة الغضب . وامسك بأخيه هارون يجره من رأسه ولحيته . . ويقول له لقد اخلفتك عليهم لكيلا يضلوا ، فقال هارون عليه السلام :

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾

(سورة طه)

فتنة عبادة العجل حدثت بسبب السامرى . . والسامرى اسمه موسى السامرى ولدته أمه فى الصحراء وماتت فكفله جبريل ورباه . . وكان جبريل عليه السلام يأتيه على حصان . . يحمل له مايحتاج إليه من طعام وشراب ، وكان موسى السامرى يرى حصان جبريل ، كلما مشى على الأرض وقع منه تراب فتخضر وتنبت الأرض بعد هذا التراب . وأيقن أن فى حافر الحصان سرًا . . فأخذ قبضة من أثر الحصان ووضعها فى العجل المصنوع من الذهب . فأخذ يحدث خوارا كأنه حى . .

ولا تتعجب من أن صاحب الفتنة يجد معونة من الأسباب حتى يفتن بها الناس . . لأن الله تبارك وتعالى يريد أن يمتحن خلقه . والذى يحمل دعوة الحق

لابد أن يهيئه الله سبحانه وتعالى تهيئة خاصة . ورسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينتقل الى المدينة .. تعرض هو والمسلمون لا بتلاءات كثيرة .. ولقد جاء حدث الاسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تخلت عنه أسباب الدنيا فى مكة وذهب الى الطائف يدعو أهلها فسلطوا عليه غلمانهم وسفهاءهم فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين .. ورفع يديه الى السماء بالدعاء المأثور :

«اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس» ..

وليس هذا على الرسول وحده بل والمؤمنين معه .. حتى أن مصعب بن عمير فتى قريش المدلل .. الذى كان عنده من الملابس والأموال والعبيد ما لا يعد ولا يحصى رئى بعد اسلامه وهو يرتدى جلد حمار وذلك حتى يختبر الحق سبحانه وتعالى فى قلب مصعب بن عمير حبه للإيمان .. هل يحب الدنيا أكثر أو يحب الله ورسوله أكثر .. حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يقول للصحابة انظروا كيف فعل الايمان بصاحبكم .

والله تبارك وتعالى لابد ان يمحص ويختبر أولئك الذين سيحملون دعوته الى الدنيا كلها .. لابد أن يكونوا صابرين على البلاء . أقوياء امام خصوم الدعوة .. مستعدين لتحمل المتاعب والآلام .. لأن هذا هو دليل الصدق فى الايمان ..

ولذلك تجد كل دعوة ضلال تأتى بالفائدة لأصحابها .. دعوة الشيوعية يستفيد منها أعضاء اللجنة المركزية .. أما الشعب فإنه يرتدى ملابس رخيصه .. ويسكن فى بيوت ضيقة . أما السادة الذين ينفقون بلا حساب فهم أعضاء اللجنة المركزية .. هذه دعوة الباطل .. وعكس ذلك دعوة الحق .. صاحب الدعوة هو الذى يدفع أولا ويضحى أولا . لا ينتفع بما يقول بل على العكس يضحى فى سبيل ما يقول .. اذن الباطل يأتى بالخير لصاحب الدعوة . فإذا رأيت دعوة تغدق على أتباعها فاعلم أنها دعوة باطل .. لولا أنها أعطت بسخاء ما تبعها أحد .

والآية الكريمة التى نحن بصددها هى تقريع من موسى عليه السلام لقومه .. الذين نجاهم الله من آل فرعون وأهلك عدوهم فاتخذوا العجل إلها .. ومتى

حدث ذلك ؟ فى الوقت الذى كان موسى فيه قد ذهب لميقات ربه ليأتى بالمنهج . . والذين اتخذوا العجل إلها . . هل ظلموا الله سبحانه وتعالى أو ظلموا انفسهم ؟ . . ظلموا أنفسهم لأنهم أوردوها مورد التهلكة دون أن يستفيدوا شيئا . . والظالم على أنواع . . ظالم فى شىء أعلى أى فى القمة . . وظالم فى مطلوب القمة . . الظالم فى القمة هو الذى يجعل الله شريكا ولذلك قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(من الآية ١٣ سورة لقمان)

وعلاقة الشرك بالظلم أنك جئت بمن لم يخلق ومن لم يرزق شريكا لمن خلق ورزق . . وذلك الذى جعلته إلها كيف يعبد ؟ . . العبادة طاعة العابد للمعبود . . فماذا قال لكم هذا العجل الذى عبدتموه من دون الله أن تفعلوا . . لذلك فأنتم ظالمون ظلم القمة . . والظلم الآخر هو الظلم فيما شرعت القمة . . بأن اخذتم حقوق الناس واستبحتموها . . فى كلتا الحالتين لا يقع الظلم على الله سبحانه وتعالى ولكن على نفسك . لماذا ؟ . . لأنك آمنت بالله أو لم تؤمن . سيظل هو الله القوى القادر العزيز . لن يُنْقصَ إيمانك أو عدم إيمانك من ملكه شيئا . ثم تأتى يوم القيامة فيعذبك . فكأن الظلم وقع عليك . . وإذا أخذت حقوق الناس فقد تتمتع بها أياما أو أسابيع أو سنوات ثم تموت وتتركها وتأخذ العذاب . فكأنك ظلمت نفسك ولم تأخذ شيئا . . لذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(من الآية ٥٧ سورة البقرة)

وظلم الناس يعود على أنفسهم . . لأنه لا أحد من خلق الله يستطيع أن يظلم الله سبحانه وتعالى . . وقوله سبحانه «فتوبوا الى بارئكم» . . الحق تبارك وتعالى قال فى الآية السابقة «عفونا عنكم» ثم يقول فى هذه الآية «فتوبوا الى بارئكم» . . لأن التوبة هى أصل المغفرة . أنت تتوب عن فعلك للذنب وتعتزم ألا تعود لمثله أبدا ويقبل الله توبتك ويعفو عنك . .

وقد كان من الممكن أن يأخذهم الله بهذا الذنب ويهلكهم كما حدث بالنسبة للأمم السابقة . . أما وقد شرع الله لهم أن يتوبوا . فهذا فضل من الله وعفو . . ثم يقول الحق تبارك وتعالى : «فاقتلوا أنفسكم» . . فانظروا الى دقة التكليف ودقة الحيثية فى قوله تعالى : «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم» الله سبحانه وتعالى يقول لهم . . أنا لم أغلب عليكم خالقا خلقكم أو آخذكم منه . . ولكن أنا الذى خلقتكم . ولكن الخالق شىء والبارىء شىء آخر . . خلق أى أوجد الشىء من عدم . . والبارىء أى سَوَّاهُ على هيئة مستقيمة وعلى أحسن تقويم . . ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝﴾

(سورة الأعلى)

ومن هنا نعرف أن الخلق شىء والتسوية شىء آخر . . بارئكم مأخوذة من برىء السهم . . وبرىء السهم يحتاج الى دقة وبراعة .

وقوله تعالى : « فاقتلوا أنفسكم » لأن الذى خلقك وسواك كفرت به وعبدت سواه . فكأنك فى هذه الحالة لابد ان تعيد له الحياة التى وهبها لك . . وعندما نزل حكم الله تبارك وتعالى . . جعل موسى بنى اسرائيل يقفون صفوفا . وقال لهم ان الذى لم يعبد العجل يقتل من عبده . . ولكنهم حين وقفوا للتنفيذ . كان الواحد منهم يجد ابن عمه وأخاه وذوى رحمه أمامه فيشق عليه التنفيذ . . فرحمهم الله بان بعث ضبابا يسترهم حتى لايجدوا مشقة فى تنفيذ القتل . . وقيل أنهم قتلوا من أنفسهم سبعين ألفا .

وعندما حدث ذلك أستصرخ موسى وهارون ربهما . . وقالا البكية البكية . أى أبكوا عسى أن يعفو الله عنهم . ووقفوا يبكون أمام حائط المبكى فرحمهم الله . .

وقوله تعالى : «فاقتلوا انفسكم» لأن هذه الأنفس بشهوتها وعصيانها . . هى التى جعلتهم يتمردون على المنهج . .

إن التشريع هنا بالقتل هو كفارة الذنب . لأن الذى عبد العجل واتخذ إلها آخر غير الله . كونه يقدم نفسه ليقتل فهذا اعتراف منه بأن العجل الذى كان يعبده

باطل .. وهو بذلك يعيد نفسه التى تمردت على منهج الله الى العبادة الصحيحة .. وهذا أقسى أنواع الكفارة .. وهو أن يقتل نفسه اثباتا لإيمانه .. بأنه لا إله إلا الله وندما على ما فعل واعلانا لذلك .. فكأن القتل هنا شهادة صادقة للعودة الى الايمان .

وقوله تعالى «ذلكم خير لكم عند بارئكم» .. أى أن هذه التوبة هى أصدق أنواع التوبة .. وهى خير لأنها تنجيكم من عذاب الآخرة .. وقوله سبحانه «فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» . التوبة الأولى أنه شرع لكم الكفارة .. والتوبة الثانية عندما تقبل منكم توبتكم .. وعفا عنكم عفوا أبديا .

